أسباب حسن الخاتمة

يعيش الناس في هذه الحياة ما كَتب الله لهم من الأعوام والشهور والأيام، ثم يرتحلون،

قال ربنا: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: 34]

وقال سبحانه: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: 185].

فمن أعظم ما ينبغي أن يحرِص عليه الإنسان، ختامُ حياتِه وحسنُ لقاء ربه، فمن وفقه الله للعملِ الصالحِ في آخر عمره وفي آخرِ ساعةٍ من الأجَل، فقد كَتب الله له حُسن الخاتمة، ومن خذله الله فختم ساعةَ أجلِه بعَمَل سيءٍ أو ذَنبٍ يُغضِب الله، فقد خُتِمَ له بخاتمةِ سُوءٍ والعياذُ بالله، وَقَد أمَرَنَا الله بالحِرصِ عَلَى نَيلِ الخاتمةِ الحسَنةِ فقَالَ تَعَالى:﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران: 102]

فكل عبد مرهون بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، وقيمة عمل العبد في حسن خاتمته، ففي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّما الأعمالُ بخواتيمِها كالوعاءِ إذا طاب أعلاه طاب أسفلُه وإذا خبُث أعلاه خبُث أسفلُه). صحيح ابن حبان

إن الله -تعالى-جعل لكل إنسان عمراً واحداً من عمر هذا الزمن الدنيوي، وأبهم عنه مقدار نصيبه من هذه الحياة الموقوتة؛ ولهذا يظل المسلم اليقظ دائمَ الانتباه، حاضر الاستعداد لملاقاة أجله، واستيفاء عمره في هذه الدنيا فيما ينفعه حين رجوعه إلى ربه.

وهذا الذي يبعده عن سِنة الغفلة، ونعاس الفتور، والقعود عن التهيؤ ليوم المعاد؛ فيكون عند ذلك من المسارعين على الصراط المستقيم، فإذا بقي هذا الشعور حياً ساق صاحبه إلى حسن الخاتمة.

إن الحديث عن الخاتمة حديث تشرئبُّ إليه الأعناق المؤمنة، وتقف له القلوب الحية؛ لأنه حديث عن النهاية، وحديث عن المرحلة الأخيرة من سفر الدنيا، وحديث عن الحال التي سيقابل بها كل إنسان ربه، فهي الصفحة الأخيرة من دفتر الحياة، وعليها ختم السعادة أو الشقاوة.

🗐لذلك يجب علينا دراسة الأسباب التي تعين على حسن الخاتمة:

❶ إقامة التوحيد لله (جلّ وعلا):

إن إقامة التوحيد في قلب المسلم يجني ثماره في حياته وعند موته وفي قبره ويوم حشره ويكون سبباً في دخول جنات ربه ورضوانه

قال صلى الله عليه وسلم:(فإن الله حرّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) البخاري ومسلم.

كثيرٌ من الناس يظنون أنهم سيدخلون الجنان ولا يُعذبَّون في النيران بمجرد قولهم لا إله إلا الله، ويحتجون بقول رسول الله صَلي الله عَلَيْهِ وَسَلَمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَال لا إِلهَ إِلا اللهُ ثُمَّ مَاتَ على ذَلكَ إِلا دَخَل الجَنَّةَ»

ولم يعلم هؤلاء أن شهادة التوحيد إن لم يحقق العبد شروطها ويستوفي أركانها فهي حجة عليه، كما هو حال المنافقين.

⇦ التوحيد العلمي: المعرفة والاثبات، لا تقبل بدون عمل، فالمنافقين قالوا كلمة التوحيد.

⇦ولهذا وجب علينا التوحيد العملي: توحيد القصد والطلب ونقصد به العمل والاستقامة.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رضي الله عنه -قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ. قَالَ: فَقَالَ: يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ وما حقُّ العبادِ عَلَى الله؟ قَالَ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ. فَيَتَّكِلُوا». متفق عليه

✉الا تشرك معه نفسك ولاهواك ولا الشيطان ولا الدنيا، ولا يكن حكمك فوق حكمه وشرعه، فالأحبار والرهبان كانوا اربابا من دون الله كما وصفهم الله لماذا، ما كانوا يعبدونهم ولكن كانوا يحللون الحرام، ويحرمون الحلال، فالحذر الحذر من العجز واتباع النفس هواها وتمني الاماني دون العمل.

وقيل للحسن البصري: إن أُناسًا يقولون: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال: "من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة".

وقالَ وَهْبَ بْنُ مُنَبِّهٍ لِمَنْ سَأَلَهُ: أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ مِفْتَاحُ اَلْجَنَّةِ؟ قَالَ: "بَلَى، وَلَكِنْ مَا مِنْ مِفْتَاحٍ إِلَّا وَلَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ" (رواه البخاري مُعلَّقًا)

✉وشروط لا اله الا الله السبعة، جمعها الشيخ حافظ الحكمي في منظومته سلم الوصول:

العلم واليقين والقبـــول * والانقيـاد فادر ما أقول**
والصدق والإخلاص والمحبة * وفقك الله لما أحبـــه**

✉شروط لا إله إلا الله:

الأول: العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا. الثاني: اليقين، وهو: كمال العلم بها، المنافي للشك والريب. الثالث: الإخلاص المنافي للشرك. الرابع: الصدق المنافي للكذب. الخامس: المحبة لهذه الكلمة، ولما دلت عليه، والسرور بذلك. السادس: الانقياد لحقوقها، وهي: الأعمال الواجبة، إخلاصًا لله، وطلبًا لمرضاته. السابع: القبول المنافي للرد.

كلمة التوحيد هي المنجية من ظلمات الشرك الى نور التوحيد، ومن ظلمات الكفر الى نور الايمان، ومن ظلمات المعاصي الى نور الطاعة، ومن ظلمات الجهل الى نور العلم في الدنيا، وهي المنجية لنا عند موتنا وفي قبرنا ويوم حشرنا، ومن النار في الاخرة لمن أدى حقها، والتزم بشروطها.

☜تأملوا قصة النبي يونس عليه السلام، عندما التقمه الحوت، وكيف كان التوحيد سبب لنجاته من الهلاك.

قال تعالى (فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (87)الأنبياء

قال ابن مسعود رضى الله عنه : ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل. المستدرك

☜فاستغاث بربه السميع العليم بكلمات يعلن فيها توحيده وخضوعه، فأنجاه الله تعالى كما هي سنته مع الموحدين المخلصين، وهي الى يوم القيامة، المنجية في الدنيا والاخرة.

❷ الاستقامة:

أعظم كرامة توفيق الله للعبد أن يستقيم على آمره، ومن أعانه الله على الاستقامة رزقه حُسن الخاتمة، قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (الاحقاف ، آية : 13).

⇦والاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين.

عَنْ أَبِي عَمْرَةَ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: "قُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَك؛ قَالَ: قُلْ: آمَنْت بِاَللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قال الصديق لما سئل عن الاستقامة: أن لا تشرك بالله شيئاً، فأراد بها الاستقامة على محض التوحيد.

وقال عمر بن الخطاب رضي عنه : الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعالب

إذن معنى الاستقامة: هو فعل الطاعة وترك المعصية، فالمعصية إهانة، والطاعة كرامة نسمع قوله تعالى :(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) (18) سورة الحج.

لا كرامة لمن أهانه الله، لو سُطّرت في مدحه دواوين الشعر، فكرامة العبد في طاعة الله ، والانقياد والاستلام والخضوع والذل لامره ونهيه.

قال الحسن البصري: هانوا عليه فعصوه، ولو عزوا عليه لعصمهم !.

فمن علامات حسن الخاتمة: أن يوفق العبد للطاعة، ويجنبه المعصية.

ومما يدل على هذا المعنى قول رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عز وجل بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ» قِيلَ: وَمَا عَسَلُهُ؟ قَالَ: «يَفْتَحُ اللَّهُ عز وجل لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ» صحيح الجامع

وكذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم (إذا أحبَّ اللهُ عَبدًا عسَّلَه قالوا : ما عسَّلَه يا رسولَ اللهِ ؟ قال : يُوفِّقُ لهُ عملًا صالحًا بين يدَي أجلِه حتَّى يرضَى عنهُ جيرانُه أو قال : مَن حولَه)صححه الالباني

فيا فوز من عسله الله، فالحرص الحرص على تعسيل العبد لأعماله حتى يعسله الله، اللهم عسِّل أعمالنا، وافتح لنا عملاً صالحا قبل الممات.

❸ التقوى:

قال تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ " (آل عمران ، آية : 102).

قال ابن مسعود في قوله تعالى: حَقَّ تُقَاتِهِ: أن يُطاع فلا يُعصى، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر".

وأصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين من يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه. (جامع العلوم والحكم)

فالتقوى سبب للخروج من كل ضيق، كما قال تعالى:" وَمَن يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا"(الطلاق ، آية : 2).

ولا شك أن العبد عند السكرات يكون في ضيق وشدة فتكون التقوى سبباً لنجاته، والتقوى سبب لتيسير السكرات على العبد المؤمن، قال تعالى:" وَمَن يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا" (الطلاق ، آية : 4).

والتقوى سبب للنجاة من المهالك، قال تعالى:" وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا" (مريم ، آية : 71، 72).

وهي سبب لدخول الجنة، قال تعالى:" تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا" (مريم ، آية : 63).

❹ الصدق:

قال تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ" (التوبة ، آية : 119).

فيما رواه البخاري ومسلم من حديث عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه – قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((عليكم بالصِّدق؛ فإن الصدقَ يهدي إلى البرِّ، والبر يهدي إلى الجَنَّة، وما يزال الرَّجل يصدُق ويتحرَّى الصِّدق حتى يُكتَب عند الله صِدِّيقًا)).

عن شدَّاد بن الهادِ - رضي الله عنه -: "أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فآمن به واتَّبعه، ثم قال: أُهاجرُ معك، فأوصى به النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- بعضَ أصحابه، فلما كانت غزوة، غَنم النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- سبيًا فقَسَم، وقسَم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يَرعى ظهرَهم؛ فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قَسْم قسمَه لك النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- فأخذه فجاء به إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: ما هذا؟ قال: ((قَسمتُه لك))، قال: ما على هذا تبعتُك، ولكن اتَّبعتُك على أنْ أُرمى ها هنا - وأشار إلى حَلقه - بسهمٍ فأَدْخُل الجَنَّةَ، فقال: ((إن تَصدُق الله يَصدقْك))، فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا في قتال العدو، فأُتي به النبي -صلى الله عليه وسلم- يُحَمَل، قد أصابه السَّهم حيث أشار، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((أهو هُو؟)) قالوا: نَعم، قال: ((صدق اللهَ فصدقَه)). صحيح الجامع

وفي "صحيح البخاري" و"مسلم" عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: "غاب عمِّي أنسُ بن النَّضر عن قتال يوم بدر، فقال: غِبتُ عن أوَّل قتال مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لَئِن أشهدني الله قتالاً ليَرَينَّ اللهُ ما أصنع، فلمَّا كان يوم أُحد، وانكشف المسلمون، انهزموا، وأشيع خبر مَقتل النبي -صلى الله عليه وسلم- فانهارت أو كادت تَنهار نفوسُ كثير من أصحاب النبي، فتوقف منهم من توقَّف عن القتال، وألقى أسلحتَه مُستكينًا، ومرَّ بهؤلاء أنسُ بنُ النَّضر وقد ألقوا ما بأيديهم، فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قُتِل رسولُ الله، قال: ما تصنعون بالحياة بعده؟! قُوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله -صلى الله عليه و سلم - ثم قال: اللَّهم إني أعتذر إليك مما صَنع هؤلاء – يعني المسلمين – وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدَّم، فلقِيه سعدُ بن مُعاذ، فقال: أين يا أبا عُمير؟ فقال أنس بنُ النضر: واهًا لريح الجَنَّة يا سعد! إني أجده دون أُحد ثم مضى، فقاتل القومَ حتى قُتِل، فما عُرِف، حتى عرَفَتْه أختُه بعد نهاية المعركة ببَنانِه، وبه بضعٌ وثمانون، ما بين طَعنة برُمح، وضربةٍ بسيف، ورميةٍ بسهم".

الصدق أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، من لم يكن معه الصدق فهو من المنقطعين الهالكين، ومن كان معه الصدق أوصله إلى حضرة ذي الجلال وكان سبباً في حُسن خاتمته وطيب المآل. سكب العبرات

❺ التوبة:

قال تعالى:" وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (النور، آية : 31).

وقال صلى الله عليه وسلم " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا" مسلم

وعن أبو سعيد الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الندمُ توبةٌ، والتائِبُ منَ الذنبِ كمَنْ لا ذنبَ لَهُ "صحيح الجامع

فمَن تاب ومات على تلك التوبة، فقد رزقه الله حُسْن الخاتمة؛ لأنه يُبْعَث تائبًا يوم القيامة من كلِّ الذنوب، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « مَنْ ماتَ على شيءٍ بَعثَهُ اللهُ عليْهِ » صحيح الجامع.

وقال طلق بن حبيب: إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين.

قال بعض السلف: "أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين" يشير إلى أن المؤمن لا ينبغي أن يصبح و يمسي إلا على توبة فإنه لا يدري متى يفاجئه الموت صباحا أو مساء فمن أصبح أو أمسى على غير توبة فهو على خطر لأنه يخشى أن يلقى الله غير تائب فيحشر في زمرة الظالمين قال الله تعالى: (وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (11) الحجرات [لطائف المعارف]

وبالتوبة ينتقل العبد من حال إلى حال، من الذنب إلى الطاعة، ومن الجهل إلى العلم، ومن الكسل إلى النشاط، ومن العجز إلى الهِمَّة، ومن الغفلة إلى اليقظة، ومن الجزع إلى اليقين، ومن التفكير الأعوج، إلى التفكير المستقيم.

وأما عن شروط التوبة فهي:

1– الإقلاع عن الذنوب.

2– الندم على فعل تلك الذنوب.

3– العزم على أن لا يعود إليها أبداً.

4– الإخلاص في التوبة.

5– التحلل من المظالم، لقوله

قال صلى الله عليه وسلم: (مَن كَانَتْ له مَظْلَمَةٌ لأخِيهِ مِن عِرْضِهِ أَوْ شيءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه اليَومَ، قَبْلَ أَنْ لا يَكونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إنْ كانَ له عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ منه بقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وإنْ لَمْ تَكُنْ له حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِن سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عليه) صحيح بخاري

☒**قد شددت الشريعة على حقوق العباد أعظم تشديد،** فقد ثبت في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:" أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ ، وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ .

☐ينصب يوم القيامة ثَلَاثَةُ دَوَاوِين، دِيوَانٌ لا يَغفِرُه اللهُ، ودِيوَانٌ أَمْرُهُ إلى الله إن شاء عَذَّبَ وإن شاء غَفَر، وَدِيوَانٌ لا يَترُكُ اللهُ منه شيئًا.

⇦أَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللهُ فَالشِّرْكُ بِاللهِ قَالَ اللهُ ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: 72] ، ⇦وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئًا فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ(حق محض لله) مِنْ صَوْمِ يَوْمٍ تَرَكَهُ أَوْ صَلَاةٍ تَرَكَهَا فَإِنَّ اللهَ عز و جل إن شاء عَذَّبَه وإن شاء غَفَر له ،⇦ وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ اللهُ مِنْهُ شَيْئًا فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا؛ الْقِصَاصُ لَا مَحَالَةَ».

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: (يغفر للشهيدِ كلُّ ذنبٍ إلا الدَّين) رواه مسلم.

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: (لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ) رواه مسلم

☐**أَنَّ رَجُلًا كَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ يَسْأَلُهُ عَنِ الْعِلْمِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عُمَرَ:** إِنَّكَ كَتَبْتَ إِلَيَّ تَسْأَلُنِي عَنِ الْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أَكْتُبَ بِهِ إِلَيْكَ، وَلَكِنْ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتَ خَفِيفُ الظَّهْرِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، خَفِيفُ الْبَطْنِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، كَافُّ اللِّسَانِ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ، لَازِمًا لِجَمَاعَتِهِمْ فَافْعَلْ.

❻ الدعاء:

☜**كان من دعاء الصالحين أن يتوفاهم الله حين انقضاء آجالهم وهم متمسكون بالطاعات ملازمون لها، ومجانبون للمعاصي مفارقون لها، مصاحبون للابرار معدودون في زمرتهم، مجافون للفجار حائدون عن صحبتهم**

وفي ذلك قول عز وجل:" رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ"(آل عمران ، آية : 193).

☒**لقد كان ذلك مطلب يوسف عليه السلام حين دعا ربه عند انقضاء أجله وذهاب عمره أن يميته على الإسلام ويثبته عليه،** قال تعالى:" رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ" (يوسف ، آية : 101).

❼ قصر الأمل والتفكر في حقارة الدنيا:

قال تعالى:" اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ" (الحديد ، آية : 20).

وقال صلى الله عليه وسلم:(الدُّنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكرَ اللهِ وما والاه، وعالِمًا أو متعلمًا) (صحيح الجامع).

قَالَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: ((إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَيْنِ طُولُ الأَمَلِ وَاتِّبَاعُ الْهَوَى، فَأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابَ وَغَدًا حِسَابٌ وَلاَ عَمَلَ.

وَكَانَ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما يقول: "إذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّباحَ، وإذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَساءَ، وخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لمَرَضِكَ، ومِنْ حياتِكَ لِمَوتِكَ" رواه البخاري

وقصر الامل ينتج عنه حسن العمل:

فها هو عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "يقوم من الليل، فيتوضأ ويصلِّي، ثم يغفو إغفاء الطير، ثم يقوم فيتوضأ ويُصلِّي، ثم يغفو إغفاء الطير، ثم يقوم يُصلِّي يفعل ذلك مرارًا".

المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطناً ومسكناً، فيطمئن فيها، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر: يهيء جهازه للرحيل، قال تعالى: {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} [غافر:39].

جميع الصالحين، والمقربين علموا أن الدُّنيا دار ممرٍّ وليست دار مستقر، فتزوَّدوا منها لآخرتهم، وتمثَّلوا قولَ النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال لرجُل وهو يَعظُه:" اغْتَنِمْ خَمْسًا قبلَ خَمْسٍ : شَبابَكَ قبلَ هِرَمِكَ ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ ، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ ، وفَراغَكَ قبلَ شُغْلِكَ ، وحَياتَكَ قبلَ مَوْتِكَ" .

أرشَدَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أُمَّتَه إلى اغتنامِ الفُرَصِ في الحياةِ؛ للعمَلِ للآخِرةِ بِمَلْءِ الأوقاتِ بالطاعاتِ؛ لأنَّها هي عُمرُ الإنسانِ في الدُّنيا، وذَخيرتُه في الآخرةِ.

فالمؤمن يعلم يقيناً أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة وأنه سينسى كل شقاء بغمسة واحدة في جنة الرحمن جلّ وعلا، ولذلك فهو لا يتعلق قلبه بأي شيء من حطام الدنيا، بل يمسي ويصبح وهو مشغول بالعمل لهذا الدين، ولا يرى أمام عينيه إلا الجنة والنار فهو يعلم يقيناً أنه لا راحة إلا في جنة العزيز الغفار (رحلة إلى الدار الآخرة).

❽ الإكثار من ذكر الموت:

ذكر الموت ينغص اللذات، ويحقّر الشهوات ويجعل الآخرة نصب العين، ومشاهدة المحتضرين والنظر إلى سكراتهم ونزعاتهم ومعالجتهم في طلوع الروح وشدة كربهم أعظم عبرة، وتغسيل الموتى يرق به القلب وتذرف العينان، ورؤية القبور وسكونها تعجل بالتوبة فتكون سبباً لحسن الخاتمة (سكب العبرات).

قال العلماء: تذكر الموت ⇦ يردع عن المعاصي، ⇦ويلين القلب القاسي، ⇦ويذهب الفرح بالدنيا، ⇦ويهون المصائب فيها.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ (قَالَ: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ). صحيح ابن ماجه

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه: إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟ فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن القبر أوّل منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما رأيت منظراً قط إلا القبر أفظع منه)(سنن الترمذي).

وزيارة القبور تذكر بالموت فيزهد في الدنيا، ويرغب في الآخرة ويتعظ بها ويعتبر.

وننقل عبارات مؤثرة للامام القرطبي رحمه الله للعبرة والعظة قال: (يعتبر بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب بعد أن قاد الجيوش والعساكر، ونافس الأصحاب والعشائر، وجمع الأموال والذخائر، فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه، وهول لم يرتقبه، فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه ودرج من أقرانه،

الذين بلغوا الآمال وجمعوا الأموال، كيف انقطعت آمالهم، ولم تغن عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم وافترقت في القبور أجزاؤهم، وترمّل بعدهم نساؤهم، وشمل ذلّ اليتم أولادهم، واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم وعند هذا التذكر والاعتبار يزول عنه جميع الأغيار الدنيوية، ويقبل على الأعمال الأخروية، فيزهد في دنياه ويقبل على طاعة مولاه، ويلين قلبه وتخشع جوارحه.

❾يجب أن يغلب على العبد الخوف في حال قوته، ويغلب عليه الرجاء في حال ضعفه وسقمه واحتضاره:

✉**قال ابن القيّم:** "السَّلف استحبُّوا أن يُقَوِّي في الصِّحَّة جناح الخوْف على جناح الرَّجاء، وعند الخروج من الدُّنيا يقوِّي جناح الرَّجاء على جناح الخوْف ".

✉**قال ابن القيّم: ينبغي للقلْب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإذا غلب الرجاء فَسَدَ".**

☜**وهنا يقصد في حال الصحة والقوة.**

✉**قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله".**

🗐**أمَّا ترْك العمل، والتمادي في الذنوب، اعتمادًا على رحمة الله، وحسْنِ الظنِّ به -عزَّ وجلَّ -فليس من الرَّجاء في شيء، بل هو جهل، وسفه، وغرور؛ فرحمة الله قريبٌ من المحسنين لا من المفرِّطين، المعاندين، المُصِرّين.**

✉**وقال ابن القيم: "فحُسْن الظَّنِّ إنَّما يكون مع انعِقاد أسباب النَّجاة، وأمَّا على انعقاد أسباب الهلاك، فلا يتأتَّى إحسان الظَّنِّ.**

🖃**والخوف والرجاء كجناحي طائر إذا استويا استوى الطائر وتمّ طيرانه وإن نقص أحدهما وقع في الطائر النقص، وإن ذهب أحدهما أو كلاهما صار الطائر عرضة للهلاك** (مدارج السالكين).

وقوله تعالى: { نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلأَلِيمُ} [الحجر: 49، 50].

🖃ولا يجتمع الخوف والرجاء في قلب العبد عند سكرات الموت ومفارقة الحياة إلا أعطاه الله ما يرجوه من الرحمة وآمنه مما يخافه من العقوبة والمغفرة. (الثبات على دين الله)

عن أنَسِ بنِ مالكٍ -رضي الله عنه -: أن النبي -صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم -دخل على شابٍّ وهو في المَوْتِ، فقَالَ: ((كيف تَجِدُكَ؟)) قالَ: واللهِ يا رسولَ اللهِ، إنِّي أَرْجُو اللهَ، وإنِّي أخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم -: ((لا يَجْتَمِعَانِ في قَلْبِ عَبْدٍ في مِثْلِ هَذا الْمَوْطِنِ؛ إلاَّ أعْطَاهُ اللهُ ما يَرْجُو، وآمَنَهُ ممَّا يَخَافُ)) صحيح الترغيب والترهيب"

🖃ولكن ينبغي أن يغلّب عند الموت جانب الرجاء على الخوف، وأن الله تعالى يرحمه ويعفو عنه، ويتجاوز عن سيئاته.

وذلك حسن الظن الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري حين قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحُسن الظن بالله عزّ وجلّ.

✉**وقال بعض العبَّاد**:"لمَّا علِمْتُ أنَّ ربّي - عزَّ وجلَّ - يلي مُحاسبتي، زال عني حزني؛ لأنَّ الكريم إذا حاسب عبدَه تفضَّل".

✉**وقال ابن المبارك**: جئتُ إلى سفيان الثَّوري عشيَّة عرفة، وهو جاثٍ على ركبتيه، وعيناه تهملان، فقلتُ له: مَن أسوأ هذا الجمْع حالاً؟ قال: الذي يظنُّ أنَّ الله لا يغفِر لهم.

🖃وذلك عند انقطاع العمل، وتبدّد الأمل في بقاء وحياة ولم يتبق له إلا التعلق بعفو الله ورحمته، وعظيم فضله، ورجاء كرمه، ورحمة الله تسبق غضبه، والعفو أحب إليه من الانتقام

✉**كما فعل ابن عباس رضي الله عنهما مع عائشة لما نزل بها الموتُ قال لها:** "فأنتِ بخيرٍ إن شاء الله، زوجة رسولِ الله، ولم يَنكح بِكرًا غيرَك، ونزل عُذرُك من السماء" (البخاري).

❿ البعد ان أسباب سوء الخاتمة:

فإن من أسباب حُسن الخاتمة، الخوف من سوء الخاتمة والبعد عن أسبابها وهي، فساد المعتقد والانغماس في البدع، النفاق ومخالفة الباطن للظاهر، التسويف بالتوبة، طول الأمل وحب الدنيا، تعلق القلب بغير الله، إلف المعاصي والإصرار عليها، الانتحار واليأس من رحمة الله، مصاحبة أهل الفساد، عدم الاستقامة على الطاعة (رحلة إلى الدار الآخرة).